الذنوب والهفوات حتى لقد بلغ من كثرة الاعدام ان الحكومة شنقت في اليوم الاول من سنة ١٨٠١ اي في بداءة القرن اثنى عشر نفساً دفعة واحدة وكانت اكبر ذنوبهم سرقة زوجي جوارب وشيء من السكر وغطاء مائدة ونحو ذلك اما الذنوب التي دون السرقة فقد كان عقابها الجلد والتشهير بين الناس بصور مضحكة وامثال هذا مما لا يجري الان في اشد البلاد توحشاً

مُلَحٌ

ارادت امرأة ان تعبث باخرى اكبر منها فقالت لها اتظنين ان لوني يزول حين اصير في عمرك قالف نعم وتكونين حينئذ سعيدة

* * *

طلب امير الى احد المصورين ان يصور له ازياء جميع الشعوب فاجابه المصور ورسم جميع الشعوب بملابسها الى ان وصل الى الفرنسوي وصوره عارياً وصور بازائه جميع اشكال الانسجة فقال له الامير ماذا تريد بهذا الرسم اجاب اني عند ما رسمت الفرنسوي اليوم نسيت الذي كان مصطلحاً عليه بالامس ولذلك فقد وضعت بازائه الانسجة المختلفة ليختار منها ما يشاء من الازياء لانه كل يوم في زي

***

ابن السبيل

﴿ الجزء الثاني — السنة الرابعة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٠١ ﴾

﴿ الموافق ٩ ذي القعدة سنة ١٣١٨ ﴾

النساء والازياء

للنساء في كل يوم خطة جديدة من الازياء وحالة مستحدثة من حالات الملابس حتى اذا شئنا ان نعين المرأة باجل شأن ظاهر فيها فانما نعينها بكثرة تغييرها للملابس وولوعها بتبديل الازياء والاشكال بل اذا كانت المرأة تميز من حيث الاخلاق بتقلب احوالها وكثرة ما يتبدل من اهوائها واميالها فالاولى ان ينصرف الحكم عليها في ذلك الى حالتها من حيث الملابس وانواعها وما لها فيها كل يوم من تغيير وتبديل فانما لذلك علاقة كبيرة بالاخلاق والطباع وهو انما قد صدر عنها وجاء منها

وليست امرأة اليوم بالمبتدعة لهذا الخلق الجديد بل انه قد يكون من جملة اخلاق المرأة الغريزية وقد يكون موجوداً فيها بكل صقع واقليم لان

ذلك لما كان من متطلبات التزين والتحلي والرغبة الدائمة في الجديد كان من الضرورة ان يكون ملازماً للمرأة حيث كانت لانه مما يحسنها في العيون ويرفع منزلتها في النفوس وليس بعد ذلك من مطمع للنساء. ولو كان يتفق لنا الان ان نراجع التواريخ الخاصة بتدوين احوال النساء في كل زمان لوجدنا ان الميل للازياء كان حاصلاً بكل مدة موجوداً لدى كل عشيرة وقبيلة

غير ان حب الجديد والتنقل من زي الى زي ليس بالامر المنكر ولا النساء عليه باللومات لان الاجماع قد وقع على ايثاره واستحسانه فالمرأة تتحلى وتبدل ازياءها من اجل ان تسر ويسر بها غيرها ثم هي تجد غيرها يسر بها ويستحسن صنعها فكانه قد دعاها الى ذلك وحضها عليه ومتى كان الشيء مستحسناً لدى الجميع بشهادة الحس وقد استقرت العيون على تفضيله فلم تبق من مشاحة في انه حسن حقيقة مهما بلغت مناقضة التفلسف وقضى حكم التمنطق

على ان تغيير الازياء بين النساء سواء جاء عن خلق وصنع او كان قديماً في المرأة وجديداً فيها وسواء كان هو من تأثير الاستحسان له او من غيره فانه ولا ريب قد بلغ في هذا العهد مبلغاً تجاوز به حد الطبيعة ومألوف الاحتمال بل هو اذا كان قد ورد عن طبع وخلق فان شدة الالحاح به وفرط الغلو في الاجماع عليه قد نقله عن حد الطبيعة حتى صار لدى حسنه الحقيقي وهو كانه بدعة كاذبة ومذهب فاسد باطل وقد اغرق الصنع به حتى محا كل آثار الطبيعة منه

ولكنه من المقرر الآن لدى الاجماع ان هذه البدعة الكاذبة انما هي حياة صادقة لكثيرين وانه لولا ثوب يطول وجلباب يقصر لطال شقاء

جماعات وقصرت احوال فئات فان بارز وحدها لو امتنع تبدل الازياء عنها شهراً لشقي الوف فيها دهراً بل ان لبس الحداد على المرحومة ملكة الانكليز قد ضايق صناع الازياء مضايقة فاحشة وشعرت التجارة العمومية به شعوراً كبيراً. كل هذا وهو لم يتعد اياماً الى حد شهر فكيف لو امتنع كثيراً او صار النساء به كالرجال لا يلبسون الا الجديد من الزي الواحد

ولكن هذا اذا كان اهل الغرب قد جروا عليه وآثروه فلقد كان ذلك لانهم الفوه من قبل بالتدريج ثم تهيأوا له وصاروا يستعدون من اجله حتى صار عندهم بمنزلة الغذاء الضروري وبمقام المسكن اللازم ولهذا فانهم اذا افرطوا فيه واشتدت مبالغتهم بوجوبه فلقد بالغوا ايضاً في اسباب لقائه واقتباله وافرطوا في توطين النفس على الرضى به واحتماله فتمت لهم بذلك الملاءمة واستقر عندهم الاتفاق وصاروا كالغني اذا ابتنى قصراً فليس ابتناؤه بغريب وكالقدير اذا اضطلع بعبء ثقيل فليس احتماله بعجيب

اما نحن الشرقيين الذين نكتب هذا الفصل من اجل نفوسنا خاصة فلقد تناهينا في هذه العادة حتى صارت عندنا كانها خلق لادافع لقضائه ولا بد من طوع حكمه على حين لم نبلغ بعد مبلغ الغربيين ولا تهيأنا للقاء هذه المحسنات تهيؤهم وان في ذلك من اضطراب القياس واختلافه ما يدعو الى النظر والاعتبار

فلقد نرى الفتاة الحسناء منا بارزة من اثوابها في اجمل من وجهها حتى يتضاعف حسنها لدى الطلاب والخطاب فنقول قد تزوجت الفتاة ولقد نجح قصدها من تحليها وتبديل ازيائها وانها لا تعنس ابداً ولكننا لا نلبث ان نرى ان حكم القلوب عليها قد جاء اخيراً على غير حكم العيون فيها فينفر الطالبون عنها

وتعدو كل حلي جمالها وهي كانها عيوب فيها وانما كان كل هذا بسبب ماتشعر به نفس الرائي من ظاهر الاسراف وبعد الائتلاف بين الحالتين الادبية والمادية وتوقعه عدم الملاءمة بين حالاته وحالات تلك الفتاة حين تصبح امرأة له فتكون الفتاة بذلك قد افسدت صدق المستقبل بكذب الحاضر وعطلت حسن الطبيعة الاول بحسن الصنع الآخر واقنعت من كل دنياها بذهاب شبابها بين وصف المحدث وتشبيب الشاعر

ولقد اتفق لدى قوم حديث جرى فيه الكلام على الكاتب الفاضل قاسم بك امين ورغبته في تحرير المرأة المسلمة ورفع الحجب عنها فقال بعضهم ان قاسم بك اذا نجح فانما يكون نجاحه نجاحاً للطلاق وذلك لانه لما كان الاسلام مبيحاً للطلاق مجيزاً لتعدد الزوجات وكان النساء على مذهبه سيخرجن حاسرات فان ذلك قد يدعو الرجال الى ايثار الحسان منهن فاذا رأى الرجل منهم واحدة اجمل من امرأته طلقها واخذ تلك مكانها او تزوجها واضافها الى امرأته وان في ذلك مافيه من اختلال حال الاسرة وكثرة دواعي التفريق بينها ولا سيما ان اكثر رجالنا على غير هدى في اكثر مايفعلون فناقضه بعضهم في ذلك بحجة ان مايخشى منه انما هو ميسور الان والمرأة محجبة عن العيون فلو كانت الرغبة شديدة فيه لكان يجري والمرأة محجوبة كما يجري لو كانت حاسرة ولكن الذي يخشى منه لدى الحقيقة انما هو اقتداء المرأة المسلمة بالمرأة المسيحية في كثرة تبديلها الازياء وتغييرها للاشكال ارادة ان تكون مستحسنة من كل وجه مجارية لغيرها في كل سبيل . والذي نراه ان هذه الحالة قد يخشى منها على المرأة المسلمة لو ارتفع حجابها فيزداد على المسلمين خطب قد كانوا في غني عنه . ونعم ان كثيرات من النساء المسلمات ولا سيما نساء

الاغنياء قد بارين الافرنج حتى فقنهم في التزين والتبديل ولكن ذلك منهن لايضر الان اذ هن ينفقن عن غنى وثروة كما انه لاضرر منه على بعض المسيحيات ممن هن مثلهن في الغنى والاقتدار ولكن كل ضرر انما يخشى ان يقع على متوسطات الحال والفقيرات كما وقع على امثالهن من المسيحيات وبذلك يقع نساء الشرق كلهن في هذه الورطة التي اخذت تشكو اوربا منها على فرط غناها واستعدادها وتسوء الحال عموماً من حيث رجونا الصلاح خصوصاً

على ان كثرة التغيير والتبديل في الازياء لم يعد بالشأن المرغوب فيه كثيراً ولا سيما عند كبيرات العقول او كبيرات الاقدار فلقد روي عن المرحومة ملكة انكلترا انها كانت على جلالة قدرها وبسطة يدها من ابعد النساء عن الازياء حتى في ايام صباها وعنفوان زهوها وجمالها ولذلك ما كانت تؤثر من الملابس الا الغالي الثمن فقط دون ميل لزي جديد وشكل بديع حتى سار اكثر نساء بلادها على خطتها واصبح الانكليزيات وهن منفردات عن سائر النساء ببساطة اثوابهن وقلة التغيير فيها ولايخفى ان غلاء الثوب هو السبب الوحيد لكرامة صاحبه من هذا المعنى وهو وحده الذي يرفعه في العيون من جهة جمال الغنى وحسن اليسار فاذا كانت المرأة تلبس كل يوم زياً جديداً وترتدي كل حين ثوب مبتدع ولكنها لاتلبس الا الرخيص فلايمكن ان تبلغ كرامتها كرامة من تلبس الثوب الغالي ولا تبدله الا بعد حين . ولما كنا قد انشأنا هذا الفصل من اجل نسائنا خاصة فنحن نأمل من ربات القدوة فيهن ان يكن مثالا لسواهن في عدم الاكثار من الازياء والجري مع كل طريقة تبتدع فان الغنيات اذا لم يخففن شيئاً عن نفوسهن من حيث

انهن سيقتنين الغالي كما كانت تفعل ملكة الانكليز فانهن يخففن عن اخواتهن الفقيرات والمتوسطات اللواتي يتطلعن اليهن ليقتدين بهن ونحن نعتقد انه متى تم ذلك بين انتساء المسيحيات فانه يتم دون ريب بين المسلمات وبهذا يحسن تحرير المرأة من كل عادة وتقليد ولا تكون قد خرجت من عادة لتقع في اشأم منها

﴿ المرأة الشقية ﴾

اي عقل سليم لا يتبلبل اذ يتأمل في هذه الكلمة السهلة اللفظ الصغيرة التركيب وهو يرى طيها ميدان الفساد الفسيح لا بل دنيا الفساد والشر وعالم الدعارة والعهارة واي قلب يحليه الادب لا يتقطع وهو يرى ان في هذه الكلمة السيف القاطع المرهف الآخذ في استئصال اصول الاخلاق السليمة في العالم والنار الآكلة الملتهمة القائمة على احراق جذور الاداب والداء العضال القتال العامل على الفتك بالنفوس والاجسام

اما نحن وان كان يوجعنا ايقاف الفكر زمناً على هذه الكلمة وما تتضمنه ويحزننا جعلها موضوعاً لقراءة الافكار السليمة وتأملا لا يخلو من بعض السماجة يؤثر في القلوب الطاهرة النقية فمع ذلك لا نرى من بد وقد اخذنا اجابة لصوت الحق في الفحص عن فظائع المدنية الاوربية ونتائج مغالاة تحرير المرأة الا التكلم بهذه الموضوع ولو بطريق الايجاز

فاول شيء يراه الفكر المتأمل في كلمة مومس امرأة فاقدة الشرف معراة عن الادب متشردة خليعة بائحة مطلقة الحرية ليس لها اب يحكم عليها فيؤدبها ولا ام تربيها وتقوم اعوجاجها ولا زوج يأمرها فتطيعه ويصون عرضها وطهارة ذيلها فخلو الشرف من المرأة ليس هو دائماً كافياً الان يصيرها مومساً بل مغالاة الحرية المعطاة لها هي التي توصلها الى هذه الحال. واذا قال قائل ان المومسات قديمات كالعالم وقد كن في زمن لم يكن لهن فيه من الحرية من شيء فنسأله ان يمهلنا ريثما نتكلم عن المرأة المستعبدة وهناك نعطيه جواباً على قوله اذ نحن في موضوعنا هذا ذاهبون الى نقض دعائم العبادة والاستعباد للمرأة

فمومس الحرية التي هي موضوع كلامنا الان هي اما خارجة عن زوج ليس له سلطة عليها فيوقفها عن جماحها واما عن والدين قد خرجت عن ادارتهما ولم يعد لهما حق مدني عليها واما برضى هذا الزوج او بتسليم ذاك الاب او باغراء هذه الام وهنا الموضوع الذي تقشعر منه الابدان وتثور ضده الطبيعة

اما المرأة الخارجة عن زوج فقد صارت شقية اما لعدم اتفاقها مع الزوج واما لخيانتها هذا الزوج

اما عدم اتفاقها معه فلسلوكها واياه مسلكا مضاداً لنصوص شرائع الدين والطبيعة فأمرت على حين انها مخلوقة لتطيع وخضع على حين انه موجود ليسود وليس من ينكر ان تغيير النظام في الطبيعة يولد الخراب كما ان انفصال عضو في الجسم عن موضعه الاصلي يقلل من سلامة الجسم وراحته وسقوط مادة من قانون شركة يبعث الى الانشقاق. ثم ان المرأة ضعيفة واما الرجل